ضرورية اي غير مقدورة بالقدرة الحادثة وثانيهما ما علم بغير دليل وثالثها
ما علم من غير تقدم نظر وهذان مختصان بالمعلوم ورابعها ما قارنه ضرورة
وحاجة كعلم الانسان بجوعه وألمه واعلم ان الممتنع عقلا اتصاف علمه تعالى
به من هذه الاقسام هو الاخير منها دون الثلاثة الاول منها لتحقق محالية
مدلولاتها واما اطلاق لفظ الضروري على علمه تعالى فممتنع مطلقا لايهامه
المعنى الاخير منها واما البديهي فهو ما لا يفتقر بضرورة ولا حاجة وهو
بهذا الاعتبار لا يمتنع اتصاف علمه تعالى به لكن امتنع اطلاق لفظه عليه
لاشعاره بالحدوث اذ يقال بده الشخص الامر اذا اتاها بغتة بغير
سابقة تشعر بمقدمات تغلب على الظن وجوده والحاصل ان العلم الحادث
ينقسم ثلاثة اقسام ضروري وبديهي وكسبي وقد مر لنا تحريرها صدر
هذا التعليق ولا يطلق واحد منها على علمه تعالى اذا تقرر هذا فالجواب
انه انما اقتصر على امتناع اطلاق الكسبي على علمه تعالى لمساواة الضروري
والبديهي له في علة حكمه وهي الاشعار بالحدوث فان قلت ان نظر
المتكلم اولا وبالذات للمعنى وثانيا وبالعرض للفظ والاطلاق فما بالك
تعرضت للثاني دون الاول قلت طلبا للاختصار وايثارا للمتوهم
اذ الاصل ان كل ما امتنع اتصافه تعالى به امتنع اطلاقه عليه دون
العكس الا ترى انه تعالى خالق كل شيء مع انه لا يطلق عليه تعالى خالق
القردة والخنازير ولا رازق الكلاب والمفسدين تأدبا وقوله فاتبع
ايها الانسان سبيل اي طريق يذكر فيقال السبيل غيرته ويؤنث
فيقال غيرتها قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
وسبحان الله وما انا من المشركين ويطلق على الطريق الحسي والمعنوي
وهو المراد هنا بقرينة اضافته الى الحق وهو الحكم المطابق للواقع وقد
مر بيانه صدر المقدمة واطرح عطف على اتبع اي الق عنك واترك
الريب جمع ريبة وهي تكملة وتتميم اذ حاصله اذا علمت وجوب القدرة
والارادة والعلم له تعالى وهو سبيل اهل الحق وطريقهم فاتبعه واطرح
عنك سبيل اهل الريب والشك والزيغ النافين لها كما علم مما مر وهذا
معلوم مما قبله اذ موضوع الكتاب لبيان ما يجب اتباعه او يجوز او
يمتنع والله اعلم ثم عطف على الوجود بالواو المجة وفقد المشركة لفظا
ومعنى كما في نظائره السابقة فقال وواجب لله تعالى ايضا حياته
اي صفته الذاتية المسماة بالحياة وهي كما قال السعد صفة ازلية
توجب صحة العلم قال بعض بهذا فسرها جمهور اهل السنة والمعتزلة
اذ لو لم تكن صفة تقتضي هذه الصحة لكان اختصاصه تعالى بها لـ
الصحة ترجيحا بلا مرجح ونقض اجمالا بانه لو كان صحيحا لزم ان يكون

اختصاص

اختصاص ذاته بهذه الصفة لصفة اخرى والا لزم الترجيح بلا مرجح او لزم التسلسل
واجيب بان ذاته المخصوصة كافية في هذا التخصيص والاقتضاء
وذهب الحكماء وابو الحسين البصري الى ان حياته تعالى عبارة عن صحة اتصافه بالعلم
والقدرة فليس هناك الا الذات المستلزمة للعلم والقدرة لانتفاء الامتناع
قلت فقوله صفة كالجنس وقوله ازلية يخرج للحياة الحادثة
وقوله توجب صحة العلم يخرج لما عداها من القدرة وسائر الصفات والمراد
من الايجاب الاستلزام لا ظاهره كما لا يلتبس وقد صرح بعضهم بالتصحيح وهو
بعيد فان قلت هلا قال يوجب العلم والقدرة قلت للاشارة
الى انه يكفي في التمييز الاقتصار على اظهر اللوازم في مقام عدم استقصائها
فان قلت ما السر في اقحام لفظ الصحة وهلا قال توجب العلم
قلت لان الحياة لا توجب العلم مثلا كما في المجانين وكثير من
الحيوانات لانا الكلام في الحياة الازلية وهي موجبة للعلم لاستحالة
انفكاك هذه الصفات عن الذات العلية وانفكاك بعضها عن بعض
لانا نقول تحقيقه الاستلزام ليس ذاتيا للحياة الازلية بل عارض
خارجي لها فليتأمل فان قلت هلا قال هي صحة العلم واسقط
قوله توجب قلت لئلا يكون تعريفا للشيء بلازمه مع انه مذهب
الحكماء وابي الحسين من المعتزلة ودليل وجوبها له تعالى وجوب اتصافه
تعالى بالعلم والقدرة والارادة وغيرها وهي لا يتصور قيامها بغير حي
وستسمع بالمراد لذة اثباتها تتمات ان الاولى في الحياة الحادثة
المشار الى اخراجها بقيد الازلية كما مر اعلم انه قد اختلفت عبارات
الناس في تفسيرها لا من جهة اختلاف في حقيقتها بل من جهة عسر
الاطلاع عليها وعسر التعبير عنها الا باللوازم والاثار فمنهم من قال
هي صفة تقتضي الحس والحركة مشروطة باعتدال المزاج والقيد الاخير
لتحقيق الماهية على ما هو رأي البعض لا للاحتراز ومنهم من قال انها
قوة هي مبدأ لقوة الحس والحركة ومنهم من قال هي قوة تتبع اعتدال النوع
ويفيض عنها سائر القوى الحيوانية اي المدركة والمحركة ومعنى اعتدال
النوع ان لكل نوع من المركبات العنصرية مزاجا خاصا هو اصلح الامزجة
بالنسبة اليه بحيث اذا خرج عن ذلك المزاج لم يكن ذلك النوع ثم لكل صنف
من ذلك النوع ولكل شخص من ذلك الصنف مزاج يخصه هو اصلح بالنسبة
اليه ويسمى الاول اعتدالا نوعيا والثاني صنفيا والثالث شخصيا على ما هو
مفصل في مباحث المزاج فاذا حصل في المركب اعتدال يليق بنوع من انواع
الحيوان فاض عليه قوة الحياة فانبعث عنها باذن الله تعالى الحواس الظاهرة
والباطنة والقوى المحركة نحو جلب المنافع ودفع المضار فتكون الحياة مشروطة

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1